**الوحدة الثالثة**

**المدرسة السلافية المقارنة**

**فهرس المحتويات**

1. نشأة المدرسة العربية
2. الدراسة المقارنة من منظور المدرسة العربية
3. المدرسة العربية بين الواقع المعيش والمستقبل المنشود:
   1. التحديات التي تواجه الأدب المقارن في العالم العربي
   2. سبل النهوض بالأدب المقارن في العالم العربي

**أهداف الوحدة:**

في نهاية هذه الوحدة يكون الطالب قادرا على :

* استعراض لمحة متكاملة عن المدرسة العربية؛ نشأة وتطورا وأعلاما.
* ذكر مواصفات الدراسة العربية المقارنة، كما وردت في أعمال أبرز أعلام المدرسة العربية.
* اختبار بعض الدراسات العربية المقارنة، بدراستها وتوضيح أهم خصائصها ومزاياها.
* تحليل معطيات أهم الدراسات العربية المقارنة، والخروج بتشخيص عام لواقع الدرس المقارن العربي، مع وضع مقترح شامل للارتقاء به والتحسين من مستواه.
* تقييم جهود الدراسات العربية المقارنة في إثراء درس الأدب المقارن وتطويره.

1. **نشأة المدرسة العربية:**

يمكن تتبع نشأة الدرس المقارن عند العرب عبر مراحل عدة، نبدأها من إرهاصات هذا الدرس في التراث العربي القديم إلى حين نضجه وازدهاره في العصر الحديث على النحو التالي:

* **الموازنة:** اقتصر العرب القدامى في موازناتهم على أدباء اللغة العربية فقط، ومن الموازنات ما كان يحصل في المحاكم والأسواق الكلامية، ومنها ما ألِّفت فيه الكتب؛ ومن أشهرها **"الوساطة بين المتنبي وخصومه"** ل**ـ"القاضي الجرجاني"** و**"الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري"** لـ**"الآمدي"**؛ وهي موازنات كانت ذات طابع جمالي لم تتطرق إلى ظاهرة التأثير والتأثر، وإنما بحثت عن الأصالة.
* **التأثير والتأثر:** من بين المؤلفات التي تطرقت لدراسة ظاهرة التأثير والتأثر عند العرب، هناك كتاب **"البيان التبيين"** لـ**"الجاحظ"** وفيه تحدث الجاحظ عن بلاغة الفرس والهند والروم وأشار إلى بعض الخصائص المشتركة بينها وبين بلاغة العرب. وفي كتابه **"البخلاء"** عبر عن رأيه في الآخر (صورة الآخر) وتحديدا في العنصر الفارسي، ذاكرا محاسنه ومساوئه في الآن ذاته، وتحدث فيه بالمقابل عن البخلاء عند العرب. وفي كتابه **"الحيوان"** تطرق إلى قضية ترجمة الأعمال الأدبية شعرها ونثرها، بالإضافة إلى شروط الترجمان. وهناك أيضا كتاب **"المثل السائر"** لـ**"ابن الأثير"**؛ وقد تحدث فيه صاحبه عن الفروق الحاصلة بين الشعرين العربي والفاسي. هذه الكتب تطرقت إلى دراسة ظاهرة التأثير والتأثر دون اتباع منهج معين.
* **التشابه والاختلاف بين الآداب العربية والغربية الحديثة:** قدَّم رواد النهضة العربية في منتصف القرن التاسع عشر العديد من الدراسات في الأدب المقارن التي تعد من المحاولات الأولى في هذا الميدان، وقد هدفت تلك الدراسات إلى تعريف القارئ العربي بآداب الغرب التي بلغت مرحلة متقدمة من التطور في حين عرف الأدب العربي مرحلة طويلة من الانحطاط، وهي دراسات لم تتطرق لظاهرة التأثير والتأثر، لأنه لم يكن همها إثبات فضل أمة على أمة أخرى، ومن بين هذه الدراسات نذكر كتاب **"تلخيص البريز في تاريخ باريز"** لـ**"رفاعه الطهطاوي"**، تضمن دراسة مقارنة سطحية بين الثقافتين العربية والفرنجية، ومقالة **"الانتقاد"** لـ**"يعقوب صروف"**، قارن فيها يعقوب بين النقد الغربي والنقد العربي داعيا إلى الاقتداء بنقاد الغرب المشهورين، ومقالة **"مقابلة بين الشعر العربي والشعر الإفرنجي"** لـ**"نجيب حداد"** وضح فيها صاحبها نقاط التشابه والاختلاف بين الشعرين العربي والغربي، وهناك أيضا سلسلة الدراسات المعنونة بـ**:"بلاغة العرب والإفرنج"** لـ**"أحمد كامل"** ... وغيرها الكثير.
* **التأليف المنهجي:** في النصف الأول من القرن العشرين ظهرت دراسات عربية مقارنة اتسمت بالسطحية وعدم التعرض لصلات التأثير والتأثُّر بين الآداب المُقَارَن بينها، من بينها، كتاب **"في الادب المقارن"** لـ**"عبد الرزاق حميدة"** قارن فيه بين **"رسالة الغفران"** لـ**"المعري"** و**"الكوميديا الإلهية"** لـ**"دانتي"**، وهناك كتاب **"تيارات أدبية بين الشرق والغرب(خطة ودراسة في الأدب المقارن)"** لـ**"إبراهيم سلامة"**. وفي عام ألف وتسعمئة وثلاثة وخمسين أرسى **"محمد غنيمي هلال"** علم الأدب المقارن النظري من خلال كتابه **"الأدب المقارن"**؛ إذ بواسطته تعرَّف الدارسون العرب على ماهية الأدب المقارن، وأهم ميادينه وموضوعاته وأعلامه، وتجدر الإشارة إلى أن غنيمي هلال ألف كتابه هذا معتمدا على المنظور الفرنسي في الأدب المقارن. وفي الستينات من القرن نفسه، ظهرت مجلات متخصصة في الأدب المقارن، كما أُلِّفت العديد من الكتب على أسس منهجية؛ مثل كتاب **"الأدب المقارن"** لـ**"حسن جاد"**، و**"الأدب المقارن"** لـ**"طه ندا"**، وكتاب **"رحلة الأدب العربي إلى أوروبا"** لـ**"محمد مفيد الشوباشي"**. وفي السبعينات ازدهرت البحث في ميدان الأدب المقارن، كما أصبحت أغلب الجامعات العربية تُدرِّس مادة الأدب المقارن في مرحلة الليسانس والدراسات العليا.
* **مرحلة النضج والازدهار:** شهدت الثمانينات من القرن العشرين تخصص العديد من طلاب الدراسات العليا في الأدب المقارن؛ حيث أنجزوا مذكرات وأطاريح في هذا المجال كان معظمها حول ظاهرة التأثير والتأثر بين الأدب العربي والآداب الأوروبية، وعلى وجه الخصوص الصلات الأدبية بين الحضارة العربية الإسلامية والحضارة الغربية في العصور الوسطى، ومن الدراسات من لم تلتزم بالمنهج الفرنسي، ومنها من التزمت به، ليس تقليدا، وإنما اختيارا للمنج الأنسب لرد الاعتبار للأدب العربي. ومن المقارنين البارزين في الثمانينات، هناك **"الطاهر أحمد مكي"** و**"داود سلوم"** و**"مناف منصور"** و**"عز الدين المناصرة"** وغيرهم الكثير.

1. **الدراسة المقارنة من منظور المدرسة العربية:**

يمكن إجمال خصائص الدراسة المقارنة مثلما وردت عن أبرز منظري المدرسة العربية في النقاط التالية:

* **المجال الزمني للدراسات المقارنة:** وسعت المدرسة العربية مجال البحث المقارن ليمتد إلى آداب العصور الوسطى والآداب القديمة؛ ومنها أدب اليونان والفرس والترك والهند وغيرها.
* **عدد الأعمال المقارن بينها:** لم تتقتصر الدراسة المقارنة في المدرسة العربية على أدبين فقط وإنما تعددت ضمنها الأعمال الأدبية المُقارَن بينها.
* **اختلاف الأمة بدلا من اختلاف اللغة:** اشترط الاتجاه العربي في الدراسة المقارنة اختلاف الأمم التي تنتمي لها الأعمال الأدبية محل الدراسة وليس اختلاف اللغة.
* **التركيز على مسألة التشابه والاختلاف في مقابل التأثير والتأثر:** ركز الرواد العرب على دراسة التشابه والاختلاف ولم يولوا اهتماما بالغا بدراسة التأثير والتأثر، وذلك لأن فضل أمة على أمة أخرى لم يكن من اهتمامهم؛ بمعنى آخر لقد كانت مسألة تحديد مواطن الجودة والرداءة في الأعمال الأدبية محل المقارنة وتبريرها هدفا للدراسة المقارنة عندهم، بعيدا عن الرغبة في إثبات تفوق أدب على آخر.
* **الموضوعية والابتعاد عن التعصب والقومية:** وذلك بالاستناد إلى أسس علمية منهجية عند ترجيح كفة أدب على آخر، والابتعاد في ذلك عن أي خلفة معينة أو تعصب معين، والرواد العرب لم ينظروا إلى ظاهرة التأثر على أنها نقيصة في حق الأدب المتأثر، بل رأوا فيها دليلا على كثرة المطالعة، والرغبة في الإفادة من آداب الآخر، ما لم يكن التأثر الحاصل تقليدا تاما، كما أن الأدب المتأثر لا يعني -حسبهم- أدبا ضعفيا، والأدب المؤثر كذلك لا يعني أدبا قويا، بل كلاهما يمكن أن يأخذ من الآخر ويفيد منه.
* **الوسطية في الدراسة المقارنة:** درس الاتجاه العربي في الأدب المقارن الأعمال الأدبية المقارن بينها من جوانب عدة، كالتشابهات والاختلافات، والتأثير والتأثر، وأنماط المجتمع، وجماليات الأسلوب، بشكل متوازن بعيدا عن الاستغراق في دراسة جانب معين دون جانب آخر.

**مثال:** في قضية اشتراط اختلاف الأمة دون اختلاف اللغة؛ مثلا الأدباء اللذين ينتمون للعالم العربي لا تجوز المقارنة بينهم مهما اختلفت اللغات التي يكتبون بها، ومهما تباعدت المسافات بينهم، لأنهم كلهم ينتمون إلى فضاء جغرافي وسياسي واحد هو العالم العربي الذي يعتبر بمثابة أمة واحدة، وفي المقابل يمكن المقارنة بين أديب عربي وآخر فارسي وتركي حتى وإن كتبوا باللغة ذاتها، وذلك لأنهم ينتمون إلى أمم مختلفة.

1. **المدرسة العربية بين الواقع المعيش والمستقبل المنشود**

بالنظر إلى واقع الدرس المقارن في العالم العربي، يمكن القول بأنه يواجه مجموعة من التحديات، التي لا بد -إزاءها- من وضع مخطط إستراتيجي يسمح بالنهوض بالدراسات العربية المقارنة وتحسين مستواها ومردودها، وفيما يلي شرح وتفصيل:

1. **التحديات التي تواجه الأدب المقارن في العالم العربي:**

يواجه الأدب المقارن مجموعة من التحديات في العالم العربي، يتمثل أهمها في :

* التأخر في ظهور الأفكار المقارنية في النقد العربي.
* معاناة الجامعات والمعاهد العربية من النقص في الإمكانات المادية والبشرية الضرورية لتطوير الأدب المقارن.
* الافتقار إلى الوعي بأهمية الأدب المقارن؛ حيث ينظر بعض الباحثين والأكادميين العرب إلى الأدب المقارن على أنه فرع ثانوي من فروع الأدب، ولا يوله الأهمية نفسها التي يوليها للأدب القومي.
* التأخر في استيعاب المستجدات النظرية في الأدب المقارن وكذلك الأعمال التطبيقية، سواء من خلال الترجمة أو من خلال عرض الإصدارات العامة.
* تدريس الأدب المقارن على نطاق ضيق، وندرة الأساتذة المتخصصين فيه، وعزوف الطلبة عنه في الدراسات العليا.

1. **سبل النهوض بالأدب المقارن في العالم العربي:**

في سبيل النهوض بالأدب المقارن في العالم العربي، لا بد من التزام بمجموعة من الإجراءات يتمثل أهمها في:

* الارتقاء بتدريس الأدب المقارن في الجامعات العربية، سواء من خلال تطوير دراسته ضمن دراسة الأدب العربي والآداب الأجنبية، أو بإنشاء معاهد خاصة بالأدب المقارن في بعض الجامعات أسوة بما هو قائم في جامعات الأقطار المتقدمة.
* تكثيف استيعاب البحوث المقارنية العالمية؛ وذلك بترجمة المؤلفات الهامة، أو بنشر ملخصات لما جاء فيها على الأقل، وتسهيل مشاركة المقارنين العرب في المؤتمرات العلمية الدولية لاستيعاب ما يستجد في العالم على صعيد الأدب المقارن.
* تقوية التفاعل العلمي بين المقارنين العرب سواء على المستوى القومي، أو داخل كل قطر عربي بمفرده؛ وذلك بإقامة مزيد من الندوات العلمية والحلقات الدراسية حول المسائل النظرية والتطبيقية للأدب المقارن، وتهيئة منبر علمي أو دورية اختصاصية تنشر فيها البحوث المقارنة، وتعرض الكتب، وتغطى النشاطات العلمية.